



تأملات في الصراع بين الحق والباطل

خطب الجمعة

محاضرة بعنوان

2025-04-28

سورية - دمشق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين.

اللهم علّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علّمنا وزدنا علماً وعملاً مُتَقَبَّلاً يا رب العالمين.

اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنّات القربات.

الأحكام العقلية ثلاث:

وبعد فيا أيّها الإخوة الكرام: في علم العقيدة يقولون إنّ الأحكام العقلية ثلاث، العقل الذي هو هبة الله للإنسان، الذي هو عملية يستطيع الإنسان من خلالها فهم الأشياء وإدراكها، والخروج بمخرجاتٍ صحيحة، هذا العقل يُطلق ثلاث أحكام:

الحُكم الأول واجب الوجود، والثاني ممكن الوجود، والثالث مستحيل الوجود، فإذا قلت الجزء أكبر من الكل، قال العقل لا هذا مستحيل الوجود، لا يمكن أن يكون الجزء أكبر من الكل، ولا أن يكون الابن أكبر من أبيه، هذا مستحيل حُكم عقلي مستحيل.

وإذا قلت هذا الكأس تحرّك من هنا إلى هنا دون أن توجد قوةٌ تحرّكه، يقول لك العقل مستحيل.

والممكن الوجود، معظم الموجودات في الكون هي مُمكنة، نحن كان يمكن ألا نوجد لكننا وجدنا، هل كان من المُمكن ألا نوجد؟ نعم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا(1)

(سورة الإنسان)

ولو شاء الله ما كُنا، لكن الله شاء أن نكون، فنحن ممكنو الوجود، وقع زلزال، الزلزال ممكن الوجود، يمكن أن يقع ويمكن ألا يقع، ويمكن أن يقع في هذا اليوم أو بعد سنة، ولا أحد يعلم متى يقع، ممكن، أمّا الواجب فهو الذي لا تستقيم الحياة بغير وجوده وهو الخالق، فالله تعالى واجب الوجود، بمعنى أنّ كل الموجودات تستمد وجودها من وجوده، فهو واجب الوجود، لا يوجد مخلوق من دون خالق، لا يوجد موجود من غير موجِّد، والعربي البسيط جداً جداً كان يقول: البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، أفسماوآث ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، ألا يدلان على الحكيم الخبير؟!

الله تعالى واجب الوجود وما سواه مُمكنات الوجود:

يُستدل على وجود خالق للكون، الآن التفاصيل كلها من الغيب، هذا الخالق العظيم، أسمائه الحُسنى، كيف يُعاقب، كيف يُحاسب، الجَنَّة والنار هذه غيب، يؤمن بها المؤمن من خلال ما جاءه من الله إيماناً، أمّا أصل الفكرة المخلوق لا بُدَّ من خالق، هذا نُسمِّيه حُكم عقلي واجب الوجود، فالله تعالى واجب الوجود وما سواه مُمكنات الوجود، ما معنى مُمكن الوجود؟ يعني يُمكن أن يوجد ويُمكن ألا يوجد، وإذا وُجد يُمكن أن يوجد على الحالة التي هو عليها، أو على حالة خلاف التي هو عليها، فأنما مُمكن الوجود كان يُمكن ألا يوجد لكنني وجدت، الآن وجدت كان مُمكن أن أكون أطول أو أقصر من ذلك ممكن، لكن شاء الله أن أكون بهذا الحجم، فأنما مُمكن الوجود.

هذه المُقدِّمة من أجل أن أقول بعدها شيئاً، وهو ما دام كل شيء في الوجود مُمكن الوجود ألم يكن مُمكناً إذاً، نحن نقول الله على كل شيء قدير، ونقرأ في القرآن:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يُخَيِّ وَيُؤَيِّثُ ۖ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (2)

(سورة الحديد)

ما دام على كل شيء، وشيء هي أعم كلمة في اللغة، إذاً قُدرته تعلَّقت بكل المُمكنات، كل شيء مُمكن في الوجود قُدرته مُتعلقة به، يمكن أن تطلُع الشمس أو لا تطلُع، يوم القيامة سيتطلُع الشمس من مغربها بخلاف ما هو معتادٌ عليه قبل ذلك، ستنو من رؤوس الخلائق بخلاف ما هو معتادٌ عليه، إذاً هي مُمكنة، فالله على كل شيء قدير، بمعنى أن قُدرته جلَّ جلاله طالعت كل المُمكنات.

ألم يكن مُمكناً إذاً أن يعيش المؤمنون في كوكب يُسمَّى كوكب الأرض، ويجعل الله كوكباً ثانياً كوكب سين صالح للحياة، ويجعل فيه الكُفَّار، كل واحد مؤمن يعيش في كوكب الأرض، والكافر في الكوكب سين من الكواكب، ممكن، فربنا عزَّ وجلَّ عليم، فهذا العبد إن كان مؤمناً وضعه مع المؤمنين، وإذا كان مجرماً يضعه في كوكب المجرمين.

الحق لا يقوى إلا بالتحدي:

إمكانية أخرى: ألم يكن ممكناً أن يجعلنا جميعاً بكوكب واحد ولكن جُعب جُعب؟ على سبيل المثال: من عام ألف وتسعمائة إلى ألفين، هذه حقبة خاصة بالمؤمنين المحسنين، نعيش مع بعض حياةً سعيدة، ورخاء وأمان، لا يوجد صهيانية ولا معتدين، كله خير وسلام وأمان ويعمُّ الخير والسلام، بعد ذلك من عام ألفين ومئة باتوا الكفار، وهكذا تتناوب على هذه الأرض، وربنا على كل شيء قدير، ألم يكن مُمكناً؟ بلى، لكن الله تعالى أراد إذاً أن نعيش جميعاً في زمن واحد، وفي مكان واحد، على أرض واحدة معاً، المسلم والكافر، الفاسق والمستقيم، المُحسن والمُجرم، شاء الله تعالى أن نعيش معاً على أرضٍ واحدة، وفي زمنٍ واحد، لأنَّ الحق لا يقوى إلا بالتحدي، ولأنَّ أهل الحق لا يستحقون الجَنَّة إلا بالبدل والتضحية والفداء.

إذاً نحن قد رُنا أن نعيش معاً، قد رُنا أن يكون هناك بقعة قريبة من الآن، يُسام أهلها سوء العذاب، ونحن مُمتحنون بهم، قد رُنا كان في سورة أن نعيش معاً، المجرمون مع المؤمنين، وأن نتصارع لسنواتٍ امتدت طويلاً، وظهر فيها صدق الصادقين، وكذب الكاذبين، وخيانة الخائنين، وأمانة المؤمنين، طبيعة الأرض وطبيعة الزمان، التي خلقها الله تعالى، جعل فيها هذا الصراع بين الحق والباطل، وجعله ممتدّاً من لدن آدم إلى يوم القيامة، ولن تخلو حقبة في الأرض أبداً من هذا الصراع، لا تستطيع أن تقول بأي وقت، استقرَّ الأمر لأهل الحق منهُ بالمئة، ولا استقرَّ الأمر لأهل الباطل منهُ بالمئة، مهما قوي أهل الباطل، يبقى لأهل الحق دائرة يتحركون فيها، عندما تتسع دوائر الحق تضيق حُكمًا دوائر الباطل، وعندما تتسع دوائر الباطل تضيق حُكمًا دوائر الحق، نحن نتنازع على المكان، في كل زمانٍ وفي كل مكان، وعلى المكانة هذه إرادة الله تعالى.

النقطة الثانية: نأخذ مثلاً اليوم ما يجري في غزّة، لأنَّ هي الحدث الأضخم والأبرز الذي يؤلمنا جميعاً، ويُقلقنا جميعاً، ونشعر بالمسؤولية تجاهه جميعاً، ونشعر بالتقصير جميعاً تجاهه، وفي كل زمن يكون عندنا مأساة في هذه الأمة، خاصة بالمئة سنة الأخيرة، بسبب بُعدنا عن ديننا، وتخلُّبنا عن ركب الحضارة الحقيقية وليست المدنية، وتخلُّبنا عن المَقوود الذي تُقاد به الأمم بالعدل، في المئة سنة الأخيرة تحوَّلت أحوالنا، نحن كل عشرة سنين عندنا فاجعة، تنتقل من بلدٍ إلى بلد، لكن فاجعة الفواجع هي فلسطيننا، منذ خمسة وسبعين سنة تعيش هذه المأساة، لما لها من مكانة دينية ورمزية كبيرة، ولما في إجرام الصهيانية وتواطؤ الجميع معهم من طرفٍ آخر.

لا يستقيم إيمان امرئٍ إذا توهم للحظة واحدة أنَّ الله تعالى لا يعلم ما يجري:

السؤال الآن حتى يستقيم إيماننا، هل يستقيم إيمان امرئٍ إذا توهم للحظة واحدة، أنَّ الله تعالى لا يعلم ما يجري؟ مستحيل، يُصبح مع الإنسان خللٌ عظيم في إيمانه، إذاً يعلم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (3)

(سورة الحديد)

قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَعِنْدَهُ مَقَانِ الْعُتْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْفُطُ مِنْ رَحْمَةٍ إِلَّا لَا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا
يَأْسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (59)

(سورة الأنعام)

في ظلمات البر والبحر، إذا ورقة بالخریف بغابات إفريقيا اهتزت وسقطت يعلمه بعلمه، الصاروخ الذي نحن نسمعه؟ إذا الورقة هو يعلمها فالصاروخ يعلمه، فنحن نوقن يقيناً قطعاً أن الله يعلم ما يجري.

هل يستقيم إيمان عبيد إذا توهم أن الله تعالى يعلم ما يجري لكن لا يعنيه؟ مستحيل، أنت أحياناً تكون جالساً على الشرفة، ترى ابنك مثلاً نسأل الله السلامة، يُمسك بيده سيجارة، وابنك صغير، الموضوع عنك، تنتفض وتنزل وتُمسك به لأنه عنك.

مرة أخرى كنت جالساً فرأيت ابن الجبران، لا عنك، والمُفترض أن عنك، لكن كونه ابن الجبران تقول هذا من شأن أبوه، ويمكن بأحسن الأحوال تقول لوالده رأيت ابنك اليوم وهو يُدخن، انتبه عليه حرام أن يتعلم على هذا الموضوع، لكنه لا عنك، فهناك من يعلم لكن لا يعنيه الموضوع.

هل يستقيم إيماننا إذا توهمنا أن الله يعلم ما يجري ولكن لا يعنيه ما يجري؟! مستحيل، هذا مُستمد من اسم الله تعالى القيوم، القيوم قائم على كل شيء جلّ جلاله بكل لحظة، فليس هناك موضوع في الكون لا يعني الله تعالى، إطلاق البصر يعنيه جلّ جلاله قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (7)

(سورة طه)

هناك جهّر يعلمه، وهناك ستر يعلمه، وهناك أشياء أخفى من السر، تحاول أن لا تُحدّث بها نفسك، يعلمها الله تعالى.

الإنسان دائماً هناك شيءٌ يجهّر به، يعني مثلاً شخص يريد أن يتزوج امرأة ثانية، يتحدث أمام أهل بيته ليفتح الموضوع، لديه نيّة الزواج بثانية، فسأله أحد الموجودين ما السبب؟ فقال له: هي امرأة عندها نيتيم، وأنا أحسب لها منذ زمن، ووضعها صعب، فأحببت أن يكون دخولي وخروجي عليها أن يكون صحيحاً، هذا الجهر، وفي السر بداخله يقول زوجتي أتعبتني كثيراً، لكنه لا يريد التكلم بهذا أمام العالم، هذا السر، أريد أن أتزوج الثانية لأرتاح من تعب زوجتي الأولى.

كل ما يجري في الكون يعنيه جلّ جلاله:

الآن الأخفى من السر، هذا لا يتكلم به مع نفسه بداخلها، عنده حاجة مما يريد الرجل من زوجته، لكن هذه هي المطلب الرئيسي، يعني عمق العمق، لكن هذا لا يتكلم به إلى الناس، ولا يُحدّث نفسه به، هذا أخفى من السر، وغالباً هذا الإنسان يُخفيه دائماً لا يوح به، يوح بواحدة، ويُخفي واحدة، ويخفي واحدة عن ذاته، بلحظة مكاشفة صريحة جداً، يُكاشف نفسه بأخفى من السر، فقال تعالى: **(يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى)** إذاً كل ما يجري في الكون يعنيه جلّ جلاله، فلو نظر الإنسان نظرة فيها خيانة، تعني الله تعالى، أي هو قائم عليها جلّ جلاله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (19)

(سورة غافر)

فهل رُشاً جلّ جلاله لا يعنيه ما يجري في غرّة من قصفٍ وقتلٍ ودمارٍ؟! يعنيه قطعاً.

إذا علم العبد أن الله يعلم وأنه يعنيه ما يجري، فهل يستقيم إيمانه إذا توهم أن الله تعالى لا يقدر على فعل شيء في هذا الأمر، معاذ الله هذا كفر.

الثلاثة أي واحدة منها يعتقدها الإنسان اعتقاداً جازماً، يُبين له ويبقى عليها فهذا كفر، عليم، قيوم، قدير، يقدر، يقدر جلّ جلاله أن يوقف الظلم الآن، إذا كان يعلم ويعنيه ويقدر، لكن ترك الأمور لفترّة مُعيّنة، تجري بطريقة مُعيّنة، نتوهم نحن فيها، أو صغاف الإيمان أن الله عزّ وجل لا يتدخل فيها، إذا هناك حكمه عليمها من عليمها وجهلها من جهلها.

إذا رُشاً يمتحن، يتخذ شهاداء، رُشاً يصطفي من عباده من يشاء، رُشاً يرفع ذكر من يشاء ويخفض ذكر من يشاء، رُشاً يهين من يشاء لجنته ويهين من يشاء لنار لا ينقذ عذابها، رُشاً جلّ جلاله يهين لهذه الأمة أمر رشيد، يختبر، يُمحصّ، يجعل الناس في محنة عظيمة، حتى فتنة، ما معنى فتنت الذهب؟ العرب تقول فتنت الذهب، أي عزّضته للنار، فتنة عظيمة أن تُعرّض الذهب للنار، حتى تذهب عنه العناصر الرخيصة العالقة به مما ليس ذهباً، أي تصفية.

ربنا عزّ وجل يُسيّر الأمور بحكمة بالغة قد نعلم بعضها وقد يخفى علينا كثير منها:

إذا رُشاً عزّ وجل يُسيّر الأمور بحكمة بالغة بالغة، قد نعلم بعضها، قد يخفى علينا كثير منها، لكن إذا انكشفت الحقائق يقول الجميع لا إله إلا الله، لذلك قالوا: إنّ الله تعالى ليُفوّي أعداءه حتى يقول صغاف الإيمان أين الله؟ بمعنى أنه تأخر نصر الله، والصحابه الكرام قالوا متى نصر الله؟ ثم يُطهر آياته حتى يقول الملحدون لا إله إلا الله، عندما تظهر آيات الله جلية للناس.

أين يظهر الامتحان؟ في هذه الفترة، ليست البطولة عند الفرج أن تقول لا إله إلا الله، البطولة أنك بسنوات الضيق موقن بوعد الله، في الوضع الطبيعي ظهرت الآيات وانتصر المُستضعفون، عندما كان فرعون يسوم بني إسرائيل سوء العذاب، عندما أغرق فرعون وانتصر موسى ومن معه على فرعون، الجميع آمن، لكن البطولة كانت بطولة السخرة، عندما كان فرعون يقوته وجبروته:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالُوا لَنْ تُؤَنِّرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ النَّبَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا ۖ فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (72)

(سورة طه)

البطولة بطولة الرجل الذي جاء ليقول لموسى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ (20)

(سورة القصص)

عندما كان فرعون بقوة جبروته، كان هناك رجلٌ صالحٌ مؤمن، يُخفي دينه، ويكتم إيمانه، يحاول إنقاذ سيدنا موسى ويحافظ على الرسالة.

البطولات تظهر في المحن والشدائد لا تظهر عند الرخاء:

البطولات تظهر في المحن والشدائد لا تظهر عند الرخاء، عند الرخاء كل الناس أبطال، أمّا المحن محك الرجال تظهر في المحن، إذا أردت أن تشتري سيارة، لا تقول سأختبرها في المنحدر! كل السيارات في المنحدرات أداها جيد، لكن يجب أن تختبر السيارة على طريق قاسٍ وصعب، بالمحنة، بالصعوبة، بالشدّة، فالآن رُشًا جلّ جلاله في هذه المرحلة الصعبة من تاريخ الأمة، والتي فيها من الألم الكثير، ولكن تبدو فيها بوادر الأمل، ويبدو فيها الصحوّة، ويبدو فيها جهاد المجاهدين، وصدق الصادقين هنا، لذلك رُشًا عزّ وجلّ ماذا قال عندما تحدّث عن غزوة الأحزاب؟ قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَذَاكَ ائْتِلِي الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا (11)

(سورة الأحزاب)

لم يُبتلوا بعد فتح مكة، ابتلوا بالأحزاب، بوقت غزوة الأحزاب، وصل الأمر ببعض ضعاف الإيمان والمنافقين، أنه أصبح الواحد منهم يقول: " أيعدنا صاحبكم أن تُفتح علينا بلاد كسرى ويقتصر وأحدنا لا يأمن أن يقضي حاجته"، يعني سيدنا رسول الله يضرب بالحجر ويقول: "أبصر قصورا حمراء وبيضاء، وفتحت بلاد اليمن، وفتحت بلاد كسرى"، قال له: أيعدنا صاحبكم - ما عاد يقول رسول الله، صار صاحبكم - أن تُفتح علينا بلاد كسرى ويقتصر وأحدنا لا يأمن أن يقضي حاجته.

أمّا عندما ظهر الحق فكل الناس يهللوا للانتصار، ونحن عندنا في سورية لمّا انقضى الموضوع وانزاح النظام، كل الناس أصبحوا يقولوا، والبعض عزّروا صور حساباتهم، البطولة للذي ثبت أربعة عشر سنة، وهو يقول رغم كل شيء، هذا الرجل مجرم، أمّا بعد أن هرب، كل الناس أصبحت تقول إنه مجرم، وقت البطولة ليس الآن، وقت البطولة انتهى، عند الفرج ينتهي وقت البطولات.

معيّب من العبد أن يسأل في المحنة أين الله:

فالآن أحيانا الكرام: ما يجري في أرض عزّة وما يجري على أرض فلسطين مؤلم جداً، ألمه ليس فقط من حجم الإجرام، ألمه من حجم التخاذل، أنت عندما تنظر وتقول أين الأمة؟! معيّب من العبد أن يسأل في المحنة أين الله، أنت أين أنت؟ العبد لا يقول أين الله لماذا لا يتدخل، أنت لماذا لا تتدخل؟ نحن الأمة لماذا لا نتدخل؟ هؤلاء القادرين؟ أنا أعرف أن هناك عجزاً أحياناً، أنا معي مبلغ قدّمته وأرسلته لكن أنا عاجز، أنا لا أطالب بحركات صيانية، ولا بهلوانية، ولا طائشة، أنا أتحدّث عن الشخص القادر، فنحن نقول أين أمّتنا؟ أين نُحْيَا؟ أين مُتَّقُونَ؟ أين القادرون الذين لم يتحركوا؟ أين الجيوش؟ لكن لا نقول أين رُشًا، رُشًا جلّ جلاله موجود لكنه كلفك لك، وأعطالك الخيار لك، وجعلك مُكلفاً ومختاراً، أمّا رُشًا جلّ جلاله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (23)

(سورة الأنبياء)

نحن يُسأل هو لا يُسأل جلّ جلاله، مالك الفلك، عندما يُظهر لك آياته، ويُظهر حكمه، سيقول الجميع الحمد لله رب العالمين، والله لن يبقى شهيدٌ في عزّة إلا وسيرضى، ولا أم مكلومة إلا سترضى، سيَرْضِي الجميع رُشًا جلّ جلاله، خيارته لا محدودة، أحيانا يكون في جيبك خمسين ألف دينار، تشعر وكأنك لست مالك الفلك فقط، بل خيارتك غير محدودة، تقول فلان زعل، يقول لك: الآن تُرضيه بمبلغ من المال، بمعنى عندما يكون معك مبلغاً من المال، تشعر أنك قادر على أن تحل مشاكل الدنيا.

الدعاء:

اللهم نصرًا عزيزاً مؤزراً لأهلنا في غرة.

اللهم فرجاً عاجلاً عنهم وعن جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

اللهم إنا نسألك يا منزل الكتاب، ويا سريع الحساب، ويا هازم الأحزاب، ويا مجري السحاب، أن تهزم الصهاينة المعتدين ومَن والاهم ومَن وقف معهم ومَن أيدهم في سرٍّ وعلن.

نسألك يا أرحم الراحمين أن تجعل بلادنا بلاد خير ورخاء، وأن تُنعم عليها بالأمن والأمان، وأن تصرف عنها كيد الكائدين، ومكر الماكرين، وحسد الحاسدين، اجعل اللهم هذا الجمع جمعاً مباركاً مرحوماً، واجعل التفرُّق من بعده معصوماً، ولا تجعل فينا ولا ممًا ولا معنا شقيًا ولا محروماً، وصلِّ وسلم وبارك على نبينا محمدٍ وعلى آله وأصحابه أجمعين.

نور الدين الاسلامي